

## خليل حاوي يكتب

### ملحمة الانسان والحضارة

ريتا عوض

لعل احدى السمات الاساسية التي اختص بها الشعر العربي الحديث هي اعادة ربط الفن الشعري بالبناء الحضاري الذي ينبثق الشعر عنه ويكون صورة له . فمسار بذلك ان الشعر الحديث الى الدور الذي كان يقوم به في الاطوار الاولى من الحضارة الانسانية حين كان الشاعر نبي القوم وكاهنهم وساحرهم وقائدهم السياسي والاجتماعي . وهذه هي احدى الدلالات التي تحملها فلسفة الالتزام التي اعتنقها الشعراء المحدثون : ان الشاعر الحديث - بالضرورة - ملتزم بقضية الانسان والحضارة . وليس هذا القول تعميما تجوز فيه استثناءات - كثرت ام قلت - بل هو تعريف يحدد الشعر الحديث ، وكل ما يخرج عنه لا يعد شعرا حديثا ، لان الحداثة لا تعني المعاصرة من حيث الزمان بل تنطوي على خصائص معينة لا يمنع ان يتسم بها بعض الشعر العظيم وان كان سابقا على عصرنا .

من هنا كان الشاعر العربي الحديث هو الشاعر الذي وعى العلاقة الجدلية التي تربط بين الانسان والحضارة من حيث ان الانسان ابو الحضارة وابنها ، وهو الفاعل فيها والمنفعل بها . كما وعى قضية الحضارة العربية من جنينيتها الجاهلية الى ولادتها بانبثاق الدعوة الاسلامية وموتها وشبابها الى هزيمها وشيخوختها وموتها . وعياني معاناة يومية عميقة وحادة مسألة التحديات التي تواجهها الحضارة العربية منذ اكثر من قرن ، وكان صاحب موقف راسخ وواضح من هذه المسألة . ولا انكر ان هذا التحديد يقوم على شروط صعبة لا يطالها عدد كبير ممن اصطلح على تسميتهم « شعراء » ، لكنه جيوي لمن حمل على عاتقه مهمة النبي والقائد .

ان القضية الحضارية الاساسية التي تطرح ذاتها على الشاعر العربي في هذا العصر هي موت الحضارة العربية وانبعاثها . وقد برزت اسئلة عديدة كان على الشاعر ان يكتشف بحدسه اجابات لها : هل نحن في عصر انبعاث ام هل الحضارة العربية ما زالت تعاني الموت والاضمحلال ؟ واذا كان موتا ، كيف يتم الانبعاث ؟ وان كان انبعاثا ، هل هو انبعاث اصيل ؟ وما هي القضية الاساسية التي يمكن ان تكون محكا يقرر اجابة على هذه الاسئلة ؟

تفاوتت اجابات الشعراء على هذه الاسئلة ، كل بقدر نفاذ حدسه وصدق وعيه لقضية الانسان والحضارة ، وعمق فعله وتفاعله مع المسألة الحضارية باشكالها جميعا . ولعل خليل حاوي ، احدهم رواد الشعر الحديث ، كان من اكثر هؤلاء الشعراء وعيا وانفذهم حدسا واشملهم ثقافة واعمقهم تجزية واشدهم اخلاصا ووضوحا في موقفه . من هنا كان نتاجه الشعري كشفا اضاء جوانب كانت مظلمة بالنسبة للانسان العادي الذي يفتقد ملكة الرؤيا التي ينفرد بها الانبياء والشعراء ، ووفر اجابات سبق بها الاحداث التي جاءت لتؤكدها .